صدى الحرية / العدد 63 / الجمعة 30 / ايـــار / 2014

صدى الحرية

فريق QMT قدسيا الإعلامي

أسبوع المدينة

ألوان العاصمة

ثوار سوريا يأكلون ثورتهم (1)

ثورة إنسان سوري

الاستفتـــــــــــاء

تال شو ... انتخابات !!

* أسبوعية * ثورية * اجتماعية * توعوية * منوعة *

أسبوع المدينة

" أحمد الكحيل " هو عنوان الأسبوع الفائت في البلدة وموضوع حديث الناس، تلك القصة التي تناقلها الجميع حتى دون معرفة أو دراية على الأقل بتفاصيلها. لعل البعض كان يحاول التسلق عليها واتخاذها باباً من أبواب الفتنة في البلدة .

القصة كما وردتنا من عدة مصادر تتلخص كالتالي : مجموعة من المجهولين تحاول اختطاف أحد أعضاء لجنة المصالحة و بالمقابل يتواجد أحمد في المكان ويدخل تواجده قلقاً لدى الخاطفين فتخرج رصاصة من أحدهم يَلقى أحمد على إثرها وجه ربه.

يتلقى الوالد الخبر وتثور ثائرته، فالخبر وصله بطريقة فيها من المغالطات التي شوهت الحقيقة، لكن الحكمة والركون لسماع صوت الحق، كان الأسبق لإطفاء نار الفتنة التي كادت تستعر، ويدرك أن الهدف نشر الفتنة وجر المدينة لما لا يحمد عاقبته، وصمتت الألسنة الخبيثة.

في سياقٍ آخر، يحاول البعض من أبناء المدينة تنصيب نفسه بديلاً عن الدولة التي غابت صورتها عن المدينة، وغاب معها القانون الذي سُرقت بموجبه أملاك هؤلاء، وبحجة أن الأرض الممتدة على طول أحد طرقات المدينة كان من ميراثهم قبل استملاكه من قبل الدولة، يعمدون لجمع الإتاوات من أصحاب ((البسطات))، هنا يثار السؤال التالي: ماذا لو عاد الأسد ليحكم ويبسط نفوذه، هل سيواجه بنفس تلك العنترية، أم ستعود النعامة لدس رأسها في التراب؟

وتتعدد أشكال العنترية في البلدة، وتتنوع بحسب الأشخاص وتبعيتهم، أو حتى فهمهم للثورة والحال التي تمر بها المدينة، فهي ليست حكراً على حملة السلاح، بل ربما تتعداها لظاهرة ابن البلد التي تمت محاربتها والحديث عنها، وإن لم تزل بقاياها عالقة، فهي من إفرازات عقودٍ طويلة من الغيبوبة الفكرية، وبخاصة الفهم الحقيقي للإسلام، ومعاني المواطنة.

وتتحول مثل هذه المظاهر التي تعلو حيناً وتخبت في وقت آخر إلى فزاعةٍ يستخدمها للتشويش، وتحويلها لأداة تخويفٍ من الثورة ورجالها، بالتالي فليس من المفترض أن نسأل من هو ((العوايني)) حسب المصطلح العامي، فهو معنىً لا يخص فرداً بذاته ممن شهد له بالتعامل المباشر مع أجهزة اللا أمن، فالعنترية هي المفهوم الجديد للتعامل مع النظام وبلا مقابل، والضحية هم الناس والثورة. وما بقاء هذه المظاهر أو زوالها إلا نتيجة وعي أبناء الثورة وتصديهم لها، وعدم السكوت عنها، فهي الزبد الزائل، وصدق الله تعالى القائل في كتابه الكريم: ((أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)). هذه العنتريات إن لم تتوقف وتنضبط بحدود يسير بموجبها الجميع، كانت وبالاً على المدينة، وبنفس الوقت على صناعها، فهي سلوكياتٌ لا تذكر إلا بتشبيح أذناب النظام، وما كانت لتظهر لولا السكوت عنها وغض الطرف من ذوي الرأي، وهي وإن كانت ظواهر فردية فالخشية من تحولها إلى مظهر عام، لا تحمد عواقبه.

ثوار سوريا يأكلون ثورتهم (1)

قال "جورج دانتون" المحامي والقائد الثوري الفرنسي الشهير عندما سيق إلى المقصلة: إن الثورة تأكل أبناءها.

مقولة "دانتون" تلك كانت حقيقةً واقعيةً حينها، لكن في ثورة سوريا التي اندلعت منتصف آذار 2011، والمستمرة حتى اليوم، نجد أن عكس مقولة "دانتون" الواردة أعلاه، هو الصحيح والواقعي، ففي سوريا بعض من سُموا ثواراً هم من أكل الثورة، لا بل وربما شربوا ماءها، أو استحموا به أيضاً، وقد فعلوا ذلك حتى قبل أن تنتصر الثورة، وتبلغ منتهاها الأخير بإسقاط نظام الاستبداد الحالي، وإقامة دولة العدل، والحرية، والمساواة، والديمقراطية.

كل ما يقال عن عنف النظام، وبطشه، ووحشيته، وتعمده استخدام الورقة الطائفية لقمع الثورة، وتغيير مسارها، وأسلوبها، وهدفها النهائي خلال مراحل متعددة من عمرها، صحيحٌ، وصحيحٌ أيضاً أن أطرافاً خارجيةً كثيرةً كإيران، وروسيا، والصين، و(حالش)، ومليشيات "أبي الفضل العباس" الطائفية، والقاعدة والجماعات المرتبطة بها، أو القريبة من نهجها الفكري والعقائدي، قد تدخلت هي الأخرى وساهمت بتحويل المسار، من ثورةٍ شعبيةٍ ضد الاستبداد والديكتاتورية، إلى حربٍ طاحنةٍ تحمل في طياتها العديد من ملامح الحرب الأهلية، وإن لم تغدو حرباً أهليةً صرفةً بعد.

صحيحٌ أيضاً، كل ما قيل ويقال عن تدخلات الدول الإقليمية، والدول الكبرى التي تدعي دعمها لثورة الشعب السوري، وصحيحٌ أيضاً، تورط أجهزة تلك الدول، السياسية منها والاستخباراتية في الثورة السورية، لمحاولة منعها من تحقيق هدفها بإسقاط النظام بشكلٍ نهائيٍ، سواءً عبر وسائل عسكريةٍ، أو عبر عمليةٍ سياسيةٍ تفضي إلى تفكيكه، وإزالته من الوجود.

لكن كل ذلك لا ينفي صحة القول: بأن الثوار السوريين قد أكلوا ثورتهم، فعندما انطلقت الثورة في آذار 2011، كانت الشريحة الكبرى التي انخرطت في الثورة بالأساس هي فئة الشباب، أي أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة، والثلاثين إلى الخامسة والثلاثين ـ ذلك لا يعني بأن من هم أكبر أو أصغر من ذلك لم يشاركوا فيها ـ وكانت تلك الشرائح تمثل معظم الفئات والطبقات والعرقيات والطوائف الموجودة في سوريا، بمعنى أنها كانت ثورةً متغلغلةً وممتدةً أفقياً وعمودياً داخل المجتمع، أو كانت بدايتها على الأقل كذلك، لكن أهم ما كان يمكن مُلاحظته في تلك البداية، هو غياب النخب والمثقفين والأكاديميين والتجار والصناعيين والإعلاميين ورجال الدين بمعظمهم عنها، لكن الثورة لم تتوقف عليهم، ولم تنتظرهم، رغم أهمية الدور الذي كان من الممكن أن يلعبوه فيها، الثورة بطبيعتها فعلٌ ديناميكيٌ له حركةٌ مستمرةٌ تصاعديةٌ، قد تتباطأ أحياناً، أو تضعف، لكنها على الأغلب تستمر في حركتها وصعودها، والثورة السورية لم تشذ خلال أول عام ونصفٍ من عمرها عن تلك القاعدة، فأنتجت مثقفيها الخاصين بها واختارتهم من بين صفوفها، من أولئك الشباب المتحمس والثائر، والمشارك بفاعليةٍ قل نظيرها في أحداثها ومجرياتها، صحيحٌ أن وصف القادة أو المثقفين أو المفكرين قد لا ينطبق عليهم بصورةٍ دقيقةٍ، لغياب المعرفة والخبرة والتجربة عن معظمهم، وافتقار آخرين كثيرٍ منهم، للأدوات العلمية والمعرفية التي تؤهلهم ليكونوا قادةً فكريين، أو منظرين سياسيين للحراك والثورة، لكن الأهداف العامة للثورة لم تكن تحتاج إلى ذكاءٍ أو ثقافةٍ من نوعٍ خاصٍ، لفهمها والتعامل معها، كما أن تفاعل أولئك الشباب ومشاركتهم اليومية الحقيقية في الثورة، كان ولا شك سيكسبهم الزاد الكافي من التجربة والخبرة، أضف إلى أنهم بمعظمهم شبابٌ، جامعيون، متعلمون، يملكون من الذكاء والوعي وقوة الشخصية الشيء الكثير، ما يعني أنهم وبالمحصلة وبالاستناد إلى ما ذكر أنفاً، لا بد وأن يكون لهم الدور الأساسي في قيادة الثورة وتنظيمها، وفي رسم مستقبل البلاد لاحقاً.

أسس أولئك الشباب التنسيقيات والروابط، وغيرها من الهيئات والكيانات الثورية الأولى، فكانت التنسيقيات في كل المناطق الثائرة، ومن ثم الهيئة العامة للثورة، واتحاد تنسيقيات الثورة السورية، ولجان التنسيق المحلية، وغيرها، والشبكات الإعلامية كشبكة شام، وأوغاريت، وغيرها أيضاً، من نتاج عمل وجهد أولئك الشباب، وقد عملوا على تنظيم المظاهرات والدعوة إليها، كما عملوا في مجالات الإعلام وتصوير المظاهرات، ورفع مقاطع الفيديو على شبكات التواصل الاجتماعي، ونقل الأخبار والتحدث إلى محطات التلفزة العربية والأجنبية، كما عملوا في مجالات الإغاثة، والمجالات الطبية، وأصبحوا يدعون ب"الناشطين".

يمكن القول وبكثيرٍ من الشعور بالراحة، أن جل المكتسبات التي تحققت لأبناء الشعب السوري، جاءت خلال فترة الثورة السلمية، فسقوط الشرعية السياسية للنظام، والإحساس بالتحرر، والكرامة، والفخر بالانتماء الوطني، والشجاعة، والتسامح، والرقي، وغيرها من المشاعر والقيم، التي أصبح الكثيرون يشعرونها ويتمتعون بها، كانت نتاجاً مباشراً لتحدي قوات أمن النظام وشبيحته، خلال وعبر المظاهرات والنشاطات السلمية الأخرى، من تصويرٍ، إلى تدوينٍ، إلى أغانٍ ولوحاتٍ فنيةٍ، إلى كتاباتٍ ورسومٍ على الجدران،

إلى مواكب تشييع الشهداء الأولين، إلى حملات المقاطعة والإضراب، إلى مغامرات إسعاف الجرحى والمصابين، إلى تهريب المطلوبين، ونقل وتهريب الأدوية، والطعام، وأجهزة التصوير، وأجهزة الاتصال، وغيرها، إلى ما كان يعرف حينها ب (المناطق الساخنة).

ثم ماذا بعد ؟ ثم جاءت مرحلة السلاح، وهنا بدأ العديد من الثوار و"الناشطين" يستهلكون بأفعالهم الكثير من الرصيد الأخلاقي والسياسي للثورة، ونحن هنا لا نتكلم عن المسلحين الذين سنفرد لهم مقالاً خاصةً في وقتٍ لاحقٍ، بل نتحدث عن النشطاء المدنيين، الذين انقسموا إلى قسمين، الأول: حيد نفسه عن الثورة، كما عن السلاح، ربما خوفاً، أو لعدم درايةٍ باستخدامه، أو لأنه يريد تنزيه نفسه عنه، أو لأنه يرفض فكرة السلاح من أساسه أصلاً، والواقع أنه يحق لكل ثائرٍ أن يختار حمل السلاح أو عدمه، فليس مطلوباً من الجميع حمل السلاح، كما لا يُلزم أحدٌ بتقديم أي تبريرٍ لخياره الذي أراد، طالما بقي صامداً على مواقفه وثوابته، في نفس الوقت بدأ كثيرٌ من أولئك "النشطاء" بالتغطية على أفعال وسلوك وتجاوزات زملائهم ممن حملوا السلاح، ولم يعد نقلهم للأخبار يمتاز بالصدق والجرأة والشفافية كما كان سابقاً، وربما أقعدتهم روابط القرابة والصلة، أو الجيرة، أو الخجل عموماً، أو رغبتهم بالحفاظ على الصورة الوردية للثورة، أو ذرائع حماية الثورة من تصيد ثغراتها وهناتها من قبل أعدائها، أو غير ذلك، عن نقل الحقيقة والواقع كما هو، وتسليط الضوء عليه، وفتحه للنقاش العام والاعتراض عليه، وهم عندما فعلوا ذلك قاموا بتقويض المثال الأخلاقي الذي حققته الثورة، وبذلك ما عادوا متمايزين عن النظام، ولا عن أمثلة السلوكيات والنماذج اللاأخلاقية التي كان يعرضها، ويعممها على المجتمع والناس.

الاستفتاء

شذى بركات

كانت الدوائر الحكومية و غير الحكومية معطلة , كيف لا ؟؟ و هذا هو اليوم العظيم , إلا مدارس أبناء الشهداء .. لا تقرفوا من برّا رخام و من جوّا سخام ..

حملت طفلي ذو العامين فالروضة معطّلة ولا بد أن آخذه معي الى العمل , لا أعرف كيف سأتدبر أمره داخل الصف , هو لطيف و يألف الناس , و أظنه سيبقى ساكتاً ريثما أنهي دروسي .

عبر طرقات دمشق و ما كان يعرف بالغوطة الشرقية , حيث أعرف أن كل هذه العلائم اختفت بقدرة قادر و قدرة المجموعات الارهابية المسلحة , على كلٍ نعود إلى ذلك اليوم . يوم الاستفتاء العظيم , عبرت بنا الحافلة ساحة الشيخ رسلان حيث دفنت خولة بنت الأزور شهيدة على أسوار دمشق و يسار الطريق بأمتار قليلة قبر أخيها ضرار بن الأزور الذي استشهد على أبواب دمشق , السور صامت , و القبور صامتة , و الشارع يكاد يفرغ من المارة , إن الحدث جلل ..ثم ما لبثنا أن عبرنا باب شرقي حيث تدلّى بطرس حواريّ عيسى عليه السلام من نافذة البرج و هرب من جحيم السجن و الكفر و الجنون ..... عبرنا ساحة المطار التي اسمها ساحة حسن الخرّاط , إنه بطل من أبطال الثورة السورية ضد المستعمر الفرنسي ..

كلّ ما حولي ينطق , لكن الناس صامتون , تنظر في عيونهم في صبيحة هذا اليوم فتجد أنها تعبر إليك من فراغ بعيد .... أيادٍ خشنة معقودة في الحجور .. و نظراتٌ تائهة تحدّق في الفراغ .

أظنّها نسيت الكلام ...

لكن الصخب يصل إلى مسامعنا عبر ذلك النسيم البارد الصباحي , و كلما اقتربنا من المدرسة ازداد الضجيج ارتفاعاً . عبرت الشارع مسرعةً و أنا أحمل طفلي , أكاد أرى الطبل و الدابكين " و ما أكثرهم "..ينظر إليّ طفلي بعينيه الجميلتين مستغرباً , بل متسائلاً , و يلتفت إلى مصدر الموسيقا الهادر , إنها باحة مدارس أبناء الشهداء ,السور الحديدي يكشف ما بداخله .. حلقة دبكة من العاملين و العاملات في المدارس , يتوسطهم رجل قصير أصلع يسند الطبل على كرشه الضخم .. و يضرب بقوة و هو يتمايل على أنغام طبله , كم تمنيت لو أملك كاميرا تصور هذا المشهد الخرافي ,

"سوريا بلدنا , حافظ يا أسدنا "

"سوريا بلدنا , أبو باسل آيدنا "

ضحكت في نفسي , كيف يقدر حمل الطبل على كرشه الكروي و يقرعه و لا يصيب كرشه ؟؟

حقاً , إنه حاذق .. تسمرت قدماي عندما لمحت رئيس الهيئة اللواء محمد الرفاعي غنيم ,ذو الهيبة المنقطعة النظير , يترأس حلقة الدبكة و يلوّح بسبحته في الهواء فرحاً .. بينما يمسك بذراعه مدير الثانوية أسامة حيدر بوجهه الترابي و بسمته الصفراء , و تليهما رولا و ما أدراك ما رولا ضاربة الة الكاتبة تلتصق بجسد المدير النحيل , بينما تهتز بجسدها الممتلئ .. يمسك ذراعها حيدر

مسؤول الوحدات السكنية , يا سلام ... تناغم يجعل أعضاء العاملين و العاملات يهتز بتناسق و فرح ليس له مثيل ... حقاً لو كنت أستطيع الخروج عن وقاري لكتبت شيئاً مطابقاً للمهزلة التي تدبك اليوم ..

تابعت المشي بذهول و أنا أحضن طفلي الخائف بشدة و عبرت الممر , علي أن أتجاوز المحتفلين , كل أعضاء المدرسة الذين سبقوني إلى الدبكة .

رجال و نساء , ضباط و صف ضباط و عساكر ... و موظفون و موظفات يصفقون و يضحكون ..

على فكرة , من أعاجيب هذه المدارس أن عدد الطلاب آنذاك 267 طالب و طالبة موزعة على ثلاث مدارس في حلب و دمشق بين بنات و ذكور , و العاملين على خدمتهم و سرقة أقواتهم 2400 موظفا و موظفة ...

كيف لا يدبكون و يرقصون ؟؟؟

عبرت الممر الأخير في الحديقة لأجتاز الباحة الأولى , إلى قسم الثانوي حيث كنت أعمل .. كنت أخشى أن يسحبني أحدهم إلى حلقة الدبكة مع البقية , و يدقني الحماس ... سأكون نكتة الموسم ..

تنفست الصعداء حين ولجت المبنى , و صعدت مسرعة للطابق الثاني , الحمد لله رن الجرس و أنا في المدرسة و لن أدخل غرفة المدرسين مع طفلي , و استقريت في صفي قبيل دخول الطلاب , و حين بدأ الطلاب بالدخول تعالت أصوات الدهشة و بدت السعادة على وجوههم حين رأوا طفلي الصغير يجلس على الطاولة . – آنسة أهذا ابنك ؟ ما اسمه ؟؟ كم عمره ؟؟ تحلّق حولي الطلاب فرحين و هم يطرحون الكثير من الاسئلة و يلمسونه بأيديهم و و يضحكون لرؤيته . ثم استقرّ النظام في الدرس و شرعت بإعطاء الدرس , الذي ما لبث أن قطع الاسترسال في الشرح دخول أحد الموجهين ليقول لي : آنسة يمكنك أن تذهبي للاستفتاء , و أنا سأبقى في الصف لحين عودتك .

شعرت بالارتباك الشديد للحظات , ظننت أن الامر دبكة و هزّ كروش و أرداف فقط .. لكن الأمر بالنسبة لي طلع أكبر , و سألته : هل يمكنني أن أترك عثمان في الصف عندك ؟ لن يبكي ..

ازداد اتساع عينيه المحمرتين الجاحظتين اتساعاً , و هز برأسه : عثمان ؟ ما شاالله اسمه عثمان ..و وجهه تحول من الوردي إلى الأصفر كتلوّن الحرباء .. عثمان و هزّ برأسه ..

غادرت الصف مسرعة و نزلت الدرج , هل أدخل إلى الحمام ؟ ثم أعود و أقول له اداليت بصوتي ؟؟ لا يمكن لأنه علي أن أخرج خارج المبنى و الجميع يراقب و غيري من المعلمين يسير خلفي , لعنكم الله , هل سيقدّم صوتي شيئا أو يؤخر ؟؟؟ النتائج معروفة 99% ثم هل عندنا مرشّح آخر ؟؟؟ بالطبع لا , بل مستحيل , من يجرؤ على المنافسة أمام الأب القائد الرمز الملهم و الضرورة ؟؟ إنه القائد إلى الأبد .

وجدت قدميّ تقودانني خارج المبنى لأتجه إلى حيث الحديقة الأمامية حيث الاحتفال و الطبل و ما زال المطرب الثوري يصدح بقوله :

"حافظ ... إذا صرخ الشرف العربي بنخوته ..... إعصار

حافظ ... أحبّ الله و الحرية و الاحرار

و قال : إني حارس , أحرس فجرا عربيا ..... و أحمي نهار ""

يخرب بيتك من أين جئت بكل هذه الصفات يا منافق ؟؟؟؟

ما شاء الله .. و ما زال الشباب يدبكون , و التصفيق و الجنون.. دلفت الى صالة الاستقبال الكبيرة حيث تجلس في صدرها موظفة أمام طاولة عليه صندوق الاقتراع الرهيب , حيث وقف أمامي شاب و و شابة جرحا اصبعيهما بالدم و ختما على ورقة الانتخاب نعم بالدم , ... نعم بالدم .. تقدمت باتجاهها و اصطنعت ابتسامة , بعد أن أخرجت هويتي الشخصية من حقيبتي بيديّ المرتجفتين , عمري تجاوز الثامنة و العشرين , و هذه أول مرّة أدلي بها بصوتي في الاستفتاء ..

هذا يوم الاستفتاء العظيم .. قلت بصوت لطيف للموظفة : أنا شذى , و هذه هويتي ..

لكنها لم تسمعني لشدّة الضجيج الدابك المطبّل حولنا , فصاحت : ماذا تقولين ؟؟

فصحت : أنا .. أنا شذى .. أريد أن أدلي بصوتي .

فصاحت : من ؟؟؟ شذى ؟؟؟ اذهبي .. انتخبنا عنك .. اذهبي .. انتخبنا عنك ...

ألوان العاصمة

ما إن تطأ قدماك أرض العاصمة حتى تتغير عليك المشاهد المألوفة التي كنت تشاهدها في ريف العاصمة, فبعد أن تكون مقلتاك قد تعودتا أن ترى ألوان معينة كاللون الرمادي والأسود والبني حتى تتغير هذه الألوان لتصبح أحمراً وأبيضاً وأخضراً ... قد أصابت فراستك إذا كنت قد قلت في نفسك بأنك ستقرأ شيئاً ما عن الانتخابات التي تشهدها البلاد في الأسبوع القادم , لكن ما سأكتب عنه الآن ليس تحليلاً سياسياً لتلكم الانتخابات وإنما تجربة نفسية لحالة العاصمة وتبدلات ألوانها من خلال صور المرشحين وشعاراتهم ومسيراتهم وأهازيجهم وأغانيهم .

حالةٌ فريدةٌ تعيشها العاصمة وعالمٌ من نوع آخر يعيشه أهلها وسكانها وكأنهم في عالم من خيالات (ديزني) أو في عالم الأحلام وألوانه المبهجة أو كأنهم في غابةٍ غنّاء تحيى بالألوان والزهور والفرح. ليس بالمكان البعيد عنك ذاك المكان الذي يمكنك أن ترى فيه ألوان الانتخابات وزينتها, فعلى مقربةٍ منك وعلى بعد بعضة أمتارٍ من مكان تواجدك ترى صورةً مقدمةً من إحدى الحواجز المحيطة لترى فيها لون عيونه الزرقاء وبزته السوداء وقميصه الأبيض, ومن هنا تبدأ قصة الألوان والصور الأعلام والأغاني والأهازيج والمسيرات المسيّرة وغير المسيّرة , لا يكاد شارعٌ أو حيٌّ أو حتى موقفٌ لسياراتٍ وحديقة حيواناتٍ لا يحمل على جدرانه صور الشجعان الثلاثة, أو لأكون صادقاً صوراً لشجاعٍ واحدٍ أما صور باقي الشجعان فقلّما تجدها على جدران حيٍ مهجورٍ أو ساحةٍ قليلة الازدحام. ساحاتٌ حبلى بصوره وشعاراته الرنانة فما إن تسمع بكلمة (سوا) أو ترها على جدران الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون أو على باب جامعة دمشق وجميع كلياتها أو حتى على جدران الوزارات والنقابات حتى يتخيل لك مستقبلاً قرمزياً زاهراً ومشرقاً. فسوا سنعمرها وسوا سنحميها وسوا سندافع عن أرضها وعرضها وسوا سنكتب مجدها وسوا سنرفع علمها وسوا وسوا وسوا... شعارٌ يملئ أرجاء العاصمة وكأنك أمام شعار لرئيسٍ لا تعرفه ولا تألف ممارساته واستبداده, حالة شعار (سوا) وكثرة تفرعاته تطلب في نفسك معرفة ذاك الشخص المسؤول أو المصمم أو القائم بذاك الشعار لعله يكون هو الشخص المناسب لكثرة ما يعدك بغدٍ جميلٍ, فتسير أنت بكل خطىً واثقةً نحو الصندوق وتضع ورقة الاقتراع وتقول: أريد أن يصبح مصمم شعار (سوا) هو رئيساً للبلاد. أما باقي الحملات لباقي لشجعان ك: الاقتصاد الحر و سوريا لفلسطين ... فهي شعاراتٌ لا تكاد تكون إلا شعاراتٍ مقتبساتٍ من مسيراتٍ مؤيدةٍ للنظام السوري. أما الشيء الغريب بالقصة أنني لم أرَ في كل الصور والشعارات كلمة (انتخبوني) مما سرى في نفسي سؤالاً: حملاتٌ انتخابيةٌ لثلاث مرشحين لا أحد يريد من الشعب أن ينتخبه؟!

ما أكثرها تلك الصور المقدمات والمهداة من الشركات التجارية العامة والخاصة و الدوائر الحكومية والأشخاص والأفراد وحتى تلاميذ الروضات وكلها باسم مرشحٍ واحدٍ لا غيره. أما عن السيارات فحدث ولا حرج فصوره كانت مازالت ولكنّها أصبحت بمقاسٍ أكبر وأضخم نظراً لضخامة المناسبة, أنت الأمل وأنت المستقبل وأنت القوي والشجاع , الله في السماء وأنت في الأرض, تلك هي الكلمات المكتوبة على خلفيات السيارات المزركشة بالعلم الأحمر, فكأنك أمام شخصيةٍ يتخيل لك بأنه هو الشخص المنقذ والمهدي المنتظر.

هي الشام إذاً حبلى بالألوان والشعارات والصور في عرسٍ ديمقراطيٍ يريده النظام على مقاسه ومقاس مناصريه ناسياً أن البلاد ترزح تحت مصاب الجوع والفقر والمرض بسببه وسبب ديمقراطيته وحريته. فالنظام يدعو الناس للتصويت — أو بالأحرى لا مشكلة فيما إذا أدليت بصوتك أيها الشعب أم لا — ليبقى هو على كرسيه وليُشبع طمعه وشهوته العارمة في حب السلطة. أيّها الفاني أو المتفاني فلتذهب أنت وانتخاباتك أدراج الرياح لتودي بك إلى الجحيم ولنبقى نحن لنعيش بسلام, نرمم جراحنا ونغيث أنفسنا بأنفسنا ونبني بلدنا ونعيد مجدها القديم بعيداً عن عرسك الديمقراطي.

ثورة إنسان سوري يصنع التاريخ على استبداد لفظه التاريخ

نبيل شبيب

,,الشعب يريد إسقاط النظام''.. شعار رددته حناجر الملايين من أفراد الشعوب ليصبح محور الثورات الشعبية العربية.. محور تحرر الإرادة الشعبية لتستعيد الشعوب زمام صناعة القرار.. ولكن سبّب هذا الشعار التباساً، لا سيما مع سرعة سقوط رؤوس أخطبوط الاستبداد سريعاً في أولى البلدان العربية الثائرة. وتشهد أحداث الحلقات التالية من الثورات العربية، لا سيما في مصر وليبيا، أن ,,إسقاط النظام'' ليس الهدف ,,البعيد'' بل هو هدفٌ مرحلي، أو وسيلة لتحقيق الهدف البعيد، فانتصار الثورة يتحقق عبر استئناف الشعوب في كل بلد من بلداننا مسيرة تاريخية ممتدة في أعماق الزمن، لترسخ وجود ,,الإنسان الحضاري''، سيداً لنفسه ولصناعة قراره، في دائرتنا العربية والإسلامية، وعلى مستوى ,,الأسرة البشرية''، بعد أن سُلبت إرادته طويلاً، وتمزقت أوطانه وأُهدرت إمكاناتها وطاقاتها دون حساب. هذا ما بدأ استيعابه تدريجياً في الثورة الشعبية في سورية أيضاً، وبدأ يفعل فعله في المساعي المتوالية لتوحيد الرؤية.. وليس الصفوف الثورية فقط، وهذا مع التأكيد الواضح: إسقاط بقايا النظام.. هو بداية المشوار. بالمقابل لم يستوعب المتسلطون على سورية –ويستحيل على أمثالهم أن يستوعبوا– أنهم كلما أوغلوا في الهمجية الدموية لإنقاذ وجودهم الملوث وخشية من السقوط، كلما أوغلوا أكثر في السقوط الأخطر والأدوم، خارج دائرة تغيير حضاري جعلته الثورة حتمياً لا رجعة عنه. لقد انتهى وجودهم واقعياً.. لم يعد باستطاعتهم الإفلات من ,,قبضة الثورة'' ومن ,,عجلة التغيير'' باللجوء إلى ,,إجراء عسكري'': براميل متفجرة وغارات سامّة وميليشيات مستوردة على شاكلتهم الدموية.. كذلك لن يفلتوا من خلال ,,إجراء سياسي'': انتخابات مزعومة، كانت سابقاتها دوماً باطلة لأن وجود من يجريها باطل علاوة على التزوير والتزييف وأصبحت في هذا المرحلة باطلة وهمجية، فليس لها ولمن يشارك فيها بأي صيغة من الصيغ، مكان في سورية الثورة وسورية الحضارة وسورية المستقبل. . . . إن الثورة خطوة أولى من مسار حضاري، ولهذا تواجه ,,الثورة المضادة العالمية''.. ولهذا أيضاً تفرض الثورة على الجميع فرضاً: توحيد الصفوف على رؤية مستقبلية مشتركة واعتماد طاقات ,,الإنسان'' الذاتية المبدعة، في جولة بعد جولة، وفي ميدان بعد ميدان، لحمل أعباء الثورة وعبء المستقبل معاً. وقد شهدنا بذور صناعة الإنسان القادر بإذن الله على متابعة هذا المسار في أرض الشام، المنار الحضاري التاريخي منذ قرون وقرون ولن يغيب نوره في قادم القرون أيضاً.. وهو أيضاً المسار الذي يكشف عن مدى حقارة استبداد همجي دموي فاسد لا يستطيع أن يتجاوز ببصره حدود برميل الموت وصندوق انتخابات الدم.. ولهذا أيضاً لن يتجاوز عمره حدود انحراف ,,بضعة عقود'' مضت وانتهت، عن طريق أرض الشام وقد بلغ عمره ألوف السنين.

ئال شو.... انتخابات!!

والله يا جماعة شي بحط العقل بالكف، هالانتخابات صارت شغلة يلي مالو شغلة وين ما تروح وبأي اجتماع ومين ما تشوف أول سؤال بينسأل (بدك تنتخب أو لاء) بس الصراحة سؤال صعب وشي بحيّر بما أنو هي أول مرة عم نحس أنو فينا نقول لاء ما بدنا ننتخبو **(عأساس إزا ئلنا ما بدنا هنن رح يسمعونا)** .من خمسين سنة ما حدا سمع بكلمة انتخابات. دائماً الشباب بيشتغلوا من راسن . تعوا نشوف كل مرشح شو الحملة الاعلانية شيتو، لنمخمخ ونعرف مين بدنا ننتخب، حسان النوري مثلاً مالو طعمة هاد ئال شو:/ انتخبوا النوري واربحوا مكيّف كوري/. منيتو ع حالو ما بدنا هالمكيّف شنّو هالشعب مكيّف خلقة. وهاد التاني ماهر الحجار فايت فوتو هالشب الأشقر، ئال بدو يخلصنا من النزوح ومن مراكز الإيواء، وبدو يبني سوريا المستقبل حجر حجر وبإيدو كمان. يروح يخيّط بغير هالمسلة، كوم حجار ولا ماهر الحجار. منحي عالطّامة الكبرى بشار، اسم حملتو /سوا /، بس شوفو

ال "سوا " تبعو هاد غير شكل، (عم نقتلكم كل مية واحد سوا ، وبدل البرميل عم نلحش عليكن برميلين سوا ،وماحدا ينزح لحالو كلكن بتنزحوا سوا) ، ومن عندي بكفّي أنا وبقول (ع جهنم أنت وأعوانك سوا). ولسا عم تسألوني بدك تنتخب؟! ،شو بدي استفيد إزا عرفان انو شيت السوا بدو ينجح.... بس بلكي حطوا اسمي عالحاجز لأني ما انتخبت ، لا لا شو بدن يلحئو يحطوا أسماء، طيب بلكي كل واحد راح انتخب بخشولو هويتو لحتى ينعرف مين انتخب ومين ما بدو ينتخب ، والله بدها صفنة هي ماكنا حاسبين حسابا، بس يعملوا يلي بدن ياه، أحسن شي لا روح انتخب ولابدي هالصرعة وشو ماصار يصير. بعد الصفنة بين معي أنو في دم شهداء كتير راح بالبلد وفي معتقلين جوا عم توصينا لا حدا يشارك بهالمهزلة، في مشوار يلي شهدائنا بلشوا فيه لازم نخلصو لنرتاح من الظلم، وبلا انتخابات بلا بطيخ، أساساً انتخابات مين والناس مهجرين.... انتخابات مين والأطفال ميتّمين.

الشهيد الغريب

الأعوام القليلة التي أمضاها في حياته زرعت فينا حباً واخلاصاً له . قدّم روحه وشبابه قرباناً لتبقى كلمة الله هي العليا، طالباً بذلك حقه بحياة حرة كريمة، هذا ما تعلمه في طفولته من أبوين رحيمين لهما كل الفضل في تربية شابٍ أضحى ذكره على كل لسان.

ثمانية عشر ربيعاً.. زهرة حياة أي شخص وبداية المشوار لتجاوز مصاعب الحياة وتأمين المستقبل . أما شهيدنا فكان له رأي آخر. آثر الجهاد والشهادة على ملذات الدنيا وشهواتها وترفها، شارك بسلمية الثورة منذ بدايتها وسار مع أصحابه في المظاهرات ليتعاهدوا على المضي في ركب الثورة , وتصدى لهجمة الأمن والشبيحة بالحجارة في الشهر الأول من عام 2012.رغم حداثة سنه أيقن بضرورة حمل السلاح بوجه نظام قد زاد بطشه وكثرت مجازره لكن نهايته الزوال بإذن الله . تدرب على السلاح ليصبح جندياً مع مجموعةٍ من الشباب الذين فهموا الطريق الصحيح لمسار الثورة ولم يحيدوا عنه قيد أُنملة حتى الرمق الأخير. شهد كل المعارك في قدسيا سيما معركة الاقتحام في الشهر العاشر 2012, ذهب الى وادي بردى ليشارك بأهم المعارك فيها وهي تحرير حاجز الفاخوخ وظل يرابط فيه، ويضرب العدو مع صحبةٍ شريفةٍ عدة ضربات موجعة، واستشهد بموقع رباطه على الخط الأول للجبهة .ليروي بدمه الطاهر أرضاً أبت أن يدنسها ظلم الطغاة , جعل من القرآن الكريم الذي كان من حفظته قدوته للأمام، ومن صلاته التي كان محافظاً عليها باباً لدخوله الفردوس الأعلى بإذن الله ويزيد في ذلك كثرة الصيام لا يمنعه عن ذلك شدة حر صيف، هادئ الطبع محبوبٌ من قادته ومن حوله من رفاقه، جعل من فعل الخير أولى مهامه، يعطف على الصغير وكأنه أخٌ له، ويتقبل نصح الكبير بصدرٍ رحب ووجهٍ بشوش . رحم الله شهيدنا وأسكنه فسيح جنانه ... طلبتَ ونلت .. عاهدت وصدقت, وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء . قيل: يا رسول الله، من الغرباء؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس**)) .

شهداؤنا في الذاكرة دوماً ..لن تنساكم حتى نلتحق بكم .